الا ان الاساليب التي اتبعتها الافتتاحيات تجاه هذا الضغط كانت تتميز احيانا بالاسف واحيانا اخرى بالنقد اللاذع للقرار الذي نال الدعم الامريكي . وكانت افتتاحيات اخرى تتساءل عما اذا كان بروز الولايات المتحدة كقوة عالمية في القرن العشرين يشكل رصيدا للامم الاخرى . وهناك نقطة اخرى أثارت المرارة في نفوس الصحافيين العرب ، بالاضافة الى دور الولايات المتحدة ، وهي أن دول النصف الغربي من الكرة الارضية الى حد بعيد ، وكذلك دول أوروبه الغربية ، هي التي صوتت ضد مصالح بلد شرقي . « بل كيف تستطيع الولايات المتحدة ان تطمئن الى قرار يتخذ بالضغط او بالرشوة ويرجح الكفة فيه دول مثل البارافوي والاورغوي وترفضه وتثور عليه دول مثل الباكستان والهندستان وتركيه فضلا عن السدول العربية التي تمثل سبعين مليونا يقيمون في قلب هذا الشرق وعلى شواطىء البحر المتوسط »(٤). « ... راينا دول الشرق بأسره تتضامن وتقترع ضد التقسيم او تلتزم الحياد ، بينما تألبت دول الغرب ، باستثناء دول شريفات معدودات ، على تأييد الصهيونية . كان تقسيم فلسطين العربية دليلا على اختلاف مقاييس الحق والعدالة بين الشرق والغرب ، اختلاف الروح عن المادة ، وبرهانا على أن الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا كما قال كبلنغ »(٥).

من الواضح ان الكتاب العرب أفزعهم ما شعروا به من الانتهاكات التي ارتكبت ضد فلسطين . الا ان اهمية هذا الشعور تتضاءل عندما يقارن بشعور الغرب في الفترة نفسها . ولم ينظر الغربي عادة الى المسألة على انه من الحق أم لا أن تعطى فلسطين للمهاجرين اليهود وانما شعر ان المسألة هي حول اللعبة السياسية في الامم المتحدة . اما بالنسبة لبعض الكتاب والدبلوماسيين الغربيين فان ما حدث في الامم المتحدة اثناء التصويت على قرار التقسيم أقلق وأزعج ضمائرهم(٦). وبالنسبة للكاتب العربي فان المعضلة الغربية حول المسألة الادبية في اجبار الامم قسرا على التصويت مع القرار او ضده في الامم المتحدة هي في معظمها أمر لا علاقة له بالموضوع . فتقليص الناحية الادبية او الاخلاقية لتقسيم فلسطين الى مستوى التصويت في الامم المتحدة لم يكن أمرا قابلا للفهم لديه . وقد كانت نظرته اقرب التصاقا بالواقع ورأى فلسطين تتمزق اربا اربا . وهنا جاء دور الناحية الاخلاقية . فلم تكن المسألة ماذا قد تقرر الدول الكبرى ، وانما كيف يحتفظ بفلسطين العربية سليمة والحؤول دون تحولها الى دولة صهيونية . « ان موقف الدول العربية لا يترك مجالا للتأويل . ولسوف يدافعون عن فلسطين ضد الصهيونية بشكل او بآخر . وسوف يقاتلون الدولة الصهيونية بكل الوسائل . ان العرب يعتبرون انفسهم في حالة دفاع مشروعة، ولا يستطيع اي شخص عالم او عادل ان يقول بانهم ليسوا على حق . ولا أحد يوافق على القول بأن كون اليهود قد استقروا على أرض فلسطين مدة ثلاثين عاما وباعداد كبيرة سيعني نهاية الضيافة الكريمة في فلسطين عند ممارسة السيادة اليهودية على التراب [الفلسطيني] »(٧).

وهكذا رفض كتاب الافتتاحيات العرب بالاجماع قرار التقسيم بعد ان رفضوا « حق » الامم المتحدة في التصويت على ذلك القرار . ويفكر المرء الان فورا بالجملة المشهورة التي أشار بها ديبلوماسي عربي الى مشروع التقسيم الذي جزأ فلسطين الى سبعة اجزاء محددة : « الموت بألف ضربة » . وقد نبه كتاب الافتتاحيات بصورة تنم عن بعد نظر ممتاز من ان اية محاولة لتطبيق قرار التقسيم قد تؤدي الى حريق هائل شامل في فلسطين ينتقل الى البلدان العربية وقد يمتد في النهاية الى بقية العالم(٨). وبالاضافة الى ذلك كان هناك اعتقاد بأن قيام دولة يهودية في فلسطين يهدد في النهاية وجود البلدان العربية — مصر وسورية ولبنان والاردن — التي لها حدود قريبة من الدولة الجديدة(٩).

وبعد أن صرف كتاب الافتتاحيات العرب النظر عن قرار التقسيم بصفته عملا ارتكبه المفلسون أدبيا وبعد ان وافقوا بالاجماع تقريبا على رفض هذا القرار اخذوا يتجهون الى جانب ثالث وهو التأكيد على الوحدة العربية في وجه عالم معاد والاصرار على معارضة التقسيم بأية وسيلة ضرورية بما في ذلك استخدام القوة . ويستحسن ان نلاحظ ان الرأي العربي في هذه المرحلة من مراحل المسألة الفلسطينية ، أي في تشرين الثاني وكانون الاول من العام ١٩٤٧ ، أظهر وحدة مدهشة على الاقل على صعيد الرأي في الافتتاحيات . ولقد قيل الكثير عن الخلافات التي ساعدت على حصول النتائج المسؤولة التي حلت بالعرب في العام ١٩٤٨ ، ولكن هذه الخلافات لم تظهر بصورة واضحة في الافتتاحيات في بداية الفترة الزمنية التي نحن بصدد دراستها . والحقيقة انه عندما نقارن أشد